ليس الاخفاق أمراً مميتا

(مرقس ٦:١-١٣)

تأليف: جو شوبيرت

كلنا قد شعرنا في وقت ما بألم الإخفاق المبرح وتمنينا إن كانت هناك فرصة ثانية. ولكن عندما نعلم بطبيعة الحادثة بعد وقوعها، نرى بوضوح تام كيف يجب علينا ان نفعل الأشياء بطريقة مختلفة إن أتيحت الفرصة لنفعلها مرة أخرى. الإخفاق هو مادة واحدة والتي يمثل كل منا أنه خبير فيها.

إننانخفق بطرق كثيرة. لنا توقعات عالية لأنفسنا وكثيراً ما لا ندرك تلك التوقعات العالية. تصرفاتنا في استعمال الفرص المتاحة تكون عادة بعيدة عما نريدها ان تكون. ولكن في علاقتنا مع الآخرين قد نشعر باخفاقاتنا الموجعة جداً.

هل استيقظت في منتصف الليل وراجعت شيء قلته أو فعلته مع شخص آخر وتمنيت ان كنت تستطيع تغير ذلك؟ انه من المدهش كيف يكون الوضوح للأدراك الداخلي في الساعة الرابعة صباحا.

اني أشك بان لكل منا قائمة كاملة بأسماء الذين نشعر باننا قد خذلناهم في علاقة ما. كلنا قد فعلنا أشياء مؤسفة للناس، ونتمنى لو كنا نستطيع ان نعود ونحل او نمسح تلك الأخطاء.

ولكن فوق الكل، ندرك الإخفاق عندما يتعلق الأمر بنطاق ايماننا. لا نفكر بالخطايا الصغيرة التي نعرفها كلنا، بل عن الإدراك العميق باننا لا نعيش حياة كما يقصدها الله ان تعاش. ما الذي بامكننا ان نفعله إذن عن إخفاقاتنا؟

في الأصحاح السادس من إنجيل مرقس لدينا واحد من إخفاقات يسوع! له الكثير جداً ان يقول لنا.

١. ادرك الإخفاق (مرقس ٦:١-٥)

عندما جاء يسوع إلى مدينته الناصرة، اراد لجيرانه وأصحابه ان يمارسوا ما كان قد اكتشف عنه الآخرين في مناطق أخرى. قوة الشفاء، منح الغفران، واحياء الرجاء الذي اظهر بوضوح في المناطق الأخرى، ينبغي أيضاً ان يظهر في مدينته الناصرة. ولكن اخفق يسوع. الكيفية التي استجاب بها يسوع لهذه الظاهرة المبينة، إخفاق علني في مدينته الناصرة وما كلم تلاميذه فيما بعد عن الكيفية التي بها يتعاملوا مع إخفاقهم، كل هذه تساعدنا على التعامل مع اخفاقاتنا.

يقول مرقس البشير:

> وخرج من هناك وجاء إلى وطنه وتبعه تلاميذه. ولما كان السبت إبتدأ يعلم في المجمع. وكثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين «من أين لهذا هذه؟ وما هذه الحكمة التي أعطيت له حتى تجري على يده قوات مثل هذه؟ أليس هذا هو النجار ابن مريم أخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان؟ أو ليست أخواته ههنا عندنا؟» فكانوا يعثرون به. فقال لهم يسوع «ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته.» ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم.

عندما أتى يسوع إلى الناصرة، وضع نفسه في إختبار صارم. كان يأتي إلى المكان الذي تربى فيه صبيا. لا يجد إنسان معارضة أكثر

مما يجده من الذين عرفوه منذ صباه. لم يقصد بهذه الزيارة ان تكون خاصة ليرى مسكنه القديم وأصحابه. بل عاد يسوع ويرافقه تلاميذه. اي بعبارة أخرى، جاء كمعلم يهودي. انه كان من النموذجي في تلك الأيام ان ترى معلما يهوديا متجولا من مكان إلى مكان يرافقه تلاميذه. جاء يسوع إلى الناصرة كما صرح به مرقس البشير يرافقه تلاميذه. انه أتى كمعلم ليعلم شعب الناصرة.

يقول الكتاب المقدس انه ذهب إلى المجمع وعلم. استقبلوا تعليمه بنوع من الإزدراء. يقول مرقس البشير: « ...كانوا يعثرون به. » كانوا يعثرون إذ يقولوا لايجب على إنسان بخلفية يسوع ان يقول ويفعل ما فعله. كان للشهرة إزدراء متزايد حقاً . رفضوا ان يصغوا إلى ما كان يقوله، وكانت استجابتهم الوحيدة هو السؤال: « أليس هذا هو النجار ؟ »

الكلمة اليونانية لـ « نجار » هي « تكتون » وهي تعني «صاحب حرفة يدوية» والتي أتت منها الكلمة تكني أو فني. كانت لكل قرية صغيرة ومحلة صاحب حرفة يدوية، تكنيكي، نجار، تكتون الذي كان يقوم بكل أنواع الأعمال الخشبية لمواطني المدينة يمكنه ان يبني اي شيء من قن الدجاج إلى المنزل. انه كان من النوع الذي يدعه أحد إلى قريته ليبني حائطا، أو لصيانة باب أو ليرمم سقفا. انه كان صاحب حرفة يدوية، رجل يستخدم لأداء أنواع مختلفة من العمل اليدوي، الذي قد يقضي اي عمل. كان يسوع هذا النوع من الإنسان.

سأل الناس: « أليس هذا هو النجار ؟ » لعلهم فكروا قائلين: « لماذا؟ انه الذي صنع الطاولة التي نتناول عليها الطعام في البيت. أتذكر عندما كان يحاول ان يبني البيت الذي نسكن فيه الآن، كنا نطعمه الغداء عدة مرات. انه أكل معنا على المائدة. ويعيش اخوته واخواته هنا انهم من أبناء البلدة الواحدة. أعرف كل الأسرة. » انهم عملوا ما لا يصدق. لجئوا إلى آخر المحاولات التي يلجأ إليها العقل الضعيف. لقد سخروا بيسوع وحنقوا عليه و قللوا من قيمة كل ما كان قد فعل حيث قالوا: « انه ليس بعظيم. فنحن نعلم من أين أتي ونعرف بداياته و نعرف اسرته، انه واحد منا. »

فكر لحظة فيما يعنيه هذا عن التصور لشعب الناصرة؛ « انه ليس شخصا عظيما، انه واحد منا. » قاد تصورهم الذاتي الدنيء إلى تصور ذاتي مزدري لكل من جاء من مدينتهم. كان يسوع إنسان اجتماعي، نجار، انسان عادي؛ لهذا احتقروه.

ونتيجة لذلك كما يقول مرقس البشير، أجرى يسوع معجزات قليلة جداً في الناصرة. كان الجو غير ملائم لايمكن ان يعمل بعض الأعمال الكريمة عندما يكون الجو غير ملائم. أمكن يسوع أن يشفي مرضى قليلين فقط في الناصرة، وآمن به قليلين فقط.

٢. مواجه الاخفاق (مرقس ٦:٦-١٠)

دون مرقس البشير في مقدمة الآية ٦ ما يلي: « وتعجب من عدم ايمانهم. » هذا الفعل قوي جداً الذي ورد هنا فقط في العهد الجديد. أستخدم لوصف خيبة أمل يسوع المريرة لما حدث في الناصرة. هنا، نحن في لقاء مع كامل طبيعة يسوع البشرية، الذي وطد قدميه بصورة راسخة على الأرض حتى في حالة عدم مقدرته القيام بالعمل الذي شاء ان يفعله دائماً. لم يسر يسوع ورأسه في السحاب، بل سار بقدمين موطدتين على الأرض. انه اختبر كل خيبة أمل وإحباط وعقبة، عاش كإنسان حقيقي بين أناس حقيقيين.

توجد واحدة من عبارات العهد الجديد الأكثر وضوحا لإنسانية يسوع في الرسالة إلى العبرانيين ١٤:٢. هذا النص من الرسالة إلى العبرانيين يناقض واحدة من البدعات القديمة في الأيام الأولى للكنيسة، البدعة التي يسميها المتخصصون بدراسة الكتاب المقدس docetism كان التعليم الأساسي للبدعة هو ان يسوع لم يكن إنسان حقيقياً وكاملاً، بل انه ظهر فقط كانسان، في شبه إنسان، يتمثل وكأنه شخص. أعلن كاتب الرسالة إلى العبرانيين بان ذلك التعليم لا يمكن ان يكون حقيقيا أبداً، إذ قال في(عبر ١٤:٢)، « فإن قد تشارك الأولاد في

اللحم والدم اشترك هو كذلك فيهما...» وتقول الآية ١٧ «من ثم ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في الله حتى يكفر خطايا الشعب.»

خيبة الأمل الكبرى التي اختبرها يسوع بسبب انه رفض في الناصرة كانت جزءا من إنسانيته الأصلية، وقد ألمه ذلك في قلبه، ولكنه لم يفقد آماله. و أحتمل كل ذلك. لم يرفض اصحابه السابقين رغم انهم رفضوه، بل انه فسر رفضهم ذلك كرد فعل بشري. قال في الآية ٤: «ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته.» كان يسوع يقول، «هذا رد فعل بشري مثالي. كان عليَّ ان أتوقعه. أشد مناقضوا الإنسان هم الذين من مدينته، الذين يعرفونه تماماً.» تعجب من عدم إيمانهم ولكنه لم يهدد برفضهم له.

رغم ان هذا الرفض في الناصرة كان مؤلماً، إلا انه لم يردع يسوع من أكمال إرساليته. عند هذه النقطة، يحدث تغير ممتع في أعمال يسوع بصفة عامة. كان الموقع الأساسي لخدمة يسوع حتى ذلك الوقت هي المجامع. يكلمنا الأصحاح الأول من إنجيل مرقس بانه شفى انسان به روح نجس في المجمع. يكلمنا الأصحاح نفسه أيضاً بان رحلته التبشيرية الأولى كانت بين مجامع الجليل. في الأصحاح الثالث من إنجيل مرقس كان التبشير في مجمع في كفرناحوم حيث شفى المفلوج في يوم السبت، محدثاً اضطراب بين قادة اليهود الذي أدى إلى عداوتهم معه. وفي الأصحاح الخامس من إنجيل مرقس، كانت ابنة يايرس رئيس المجمع هي التي أحياها يسوع. ولكن هذا الرفض في المجمع في الناصرة، يختم النهاية في كل سجل الأناجيل التي لا نجد بعدها ابداً يسوع يعلم في اي مجمع. من الواضح ان اغلاق الأبواب في الناصرة جعل يسوع يقرر ان يترك المجمع ويذهب حيثما يجد الناس ليسمعوا – سفوح الجبال، وسواحل البحر والقرى الصغيرة. تقول الآية ٦، «وصار يطوف القرى المحيطة ويعلم.»

يشير الإخفاق في الناصرة أيضاً إلى بداية الرحلات التبشيرية للرسل. يقول السجل بان يسوع ارسلهم اثنين اثنين ليكشف نشاط خدمته. ويقول مرقس البشير في الآية ٧ ما يلي: «ودعا الاثني عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين؛ وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة.» يكلمنا النص الموازي لهذا في إنجيل متى الأصحاح العاشر كيف قسموا اثنين اثنين. قال على سبيل المثال، ذهب أندراوس مع أخوه بطرس؛ وذهب يعقوب مع يوحنا أخوه؛ وذهب متى مع توماس. اشعر باسف دائماً لسمعان القانوي لأن زميله كان يهوذا الاسخريوطي. أرسلهم يسوع اثنين اثنين ليبشروا. أوصاهم توصية قاطعة عندما ذهبوا. سجلها مرقس في هذه الكلمات:

> وأوصاهم أن لا يحملوا شيئاً للطريق غير عصاً فقط. لا مزوداً ولا خبزاً ولا نحاساً في المنطقة. بل يكونوا مشديدين بنعال ولا يلبسوا ثوبين (آيتي ٧ و ٩).

كان يسوع يقول: «لا تصنع اي تجهزات لهذه الرحلة. لا أريدكم ان تأخذوا معكم اي طعام أو مال. سيوفر الله لكم. اذهبوا وفيما انتم ذاهبون، ثقوا بالله. سيعتني الله بحاجتكم مهما كانت.» انه تعمد ان يرسلهم هكذا لكي يلقنهم درساً في الإيمان.

ثم أضاف في الآية ١٠ قائلاً: «حثما دخلتم بيتاً فأقيموا فيه حتى تخرجوا من هناك.» كانت هذه التوصية وفقاً للعادات العامة لتلك الأيام. كان الكرم يعتبر غاية الأهمية في تلك البلدان الشرقية. كل غريب يدخل المدينة يجد مكاناً يبيت فيه بين سكان تلك القرية الكرماء.

يوضح الرب في هذه التوصية بان هذا كان تدبير مؤقت لمجموعة معينه من الرجال، وليست قاعدة دائمية التي نذهب بها اليوم. ولكن القاعدة الدائمية التي تلمح إليها هذه الكلمات هي مناسبة في الأجيال: أعني، بان ينبغي على اي خادم الذي يخرج ليخدم باسم يسوع ان يعتمد على الله. لا ينبغي ان نتناسى بان الله هو الذي يفتح الأبواب، ويخطط الرحلة، ويسنح بالفرص، ويوفي بالحاجات. يجب أن نعتمد على الله، وليس على مختطاتنا البشرية، ووسائلنا وتنظيماتنا. هذا هو الدرس

الذي كان يسوع يعلمه لتلاميذه. وقد اتضح انهم تعلموه جيداً.

استخدام الإخفاق (مرقس ٦:١١-١٣)

بعغم الأخفاق الذي في قلبه، أعطى الرسل طريقة لمواجهة اخفاقاتهم. لقد أغلقت الناصرة أبوابها بعنف في وجه يسوع. علم يسوع أيضاً بان الرسل سيرفضون خلال رحلاتهم التبشيرية. كان عليهم ان يتعلموا كيف يتعاملوا مع هذا الإخفاق.

الآية ١١ آية غريبة بعض الشيء، كما لو كانت لغزا. قال يسوع: «وكل من لا يقبلكم ويسمع لكم فاخرجوا من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم. الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة.» قد نقرأ هذه الآية ونراها لاتتفق بعض الشيء مع طبيعة يسوع الرقيقة والرؤوفة. يتضح لنا أنه كأن ديناً وقاسياً مع هذا الشعب. ولكن هناك الكثير في هذه الآية مما نراها عادة. في الحقيقة، يوجد فيها صيغة لمواجهة الإخفاق والتي تجعلنا ناقلين مهذبين لرسالة الإنجيل لكل الناس الذين نقابلهم. أنظر في هذه الآية بامعان.

يساعد فهم الخلفية التي تأتي منها هذه الصيغة. تقول قوانين معلمو اليهود بان التراب من اممي أو من الإنسان الغير مؤمن كان نجسا و يجب على اليهودي القادمً من بلاد الغير مؤمنين بالله ان ينفض عن جسمه كل الجزئيات النجسة من التراب سواءكان ذلك التراب على حذاءه أو على رداءه. وكان اليهودي المطيع ينفض أيضاً كل جزء تراب من جسمه قبل ان يدخل الهيكل أو المجمع للتعبد. من الواضح بان هذه الممارسة هي الآساس التي عليها يجب ان نفهم توصية يسوع للرسل.

تساعدنا تعاليم يسوع أكثر بكثير مما ندرك. قبل ان ندرك ماذا تعني عبارة يسوع هذه، علينا ان نفهم الذي لا تعني ما لا تعنيه.

لا يعني يسوع بان علينا ان نستسلم عندما تكون الأمور قاسية. لم يقل لنا الحق ان نهمل الذين أهملونا. إذا حدث بان الناس لا يريدوننا، قد يكون الخطأ في طريقة قدومنا إليهم. لا يجب علينا ان نغلق باب الفرصة الثانية على الناس لأنهم أغلقوا الباب علينا فقط. قد يكون السبب في غلق الباب هو طريقة محادثتنا. ربما يستحقوا فرصة ثانية وثالثة ورابعة.

ما يعنيه إنجيل مرقس ٦:١١ هو ان علينا ان نستمر بغض النظر عن الإخفاق. عندما نقابل خيبة آمل، لا يجب أن نتحطم بسببها. علينا ان نغلق تلك الصفحة وننتقل إلى صفحة جديدة والله سيلبي. لم يشعر يسوع بتهديد بسبب هذا الرفض - المخيب للآمال؟ نعم. مهدد ورادع؟ كلا. لم يمانع يسوع أبداً ان يقبل «لا» كاجابة. كلمة «لا» هي على الأقل إجابة. عندما وجد يسوع تلك الإجابة، كان راضيا بقبولها.

التفت إلى التلاميذ وقال: «إن لم تقبلكم اي قرية دخلتموها، أخرجوا منها واذهبوا إلى أخرى، حيث يمنحكم الله فرص أخرى. لا يغلبنكم الإخفاق. استمروا نحو فرص أخرى، معتمدين أكثر على الله مما كنتم من قبل.» لا بد ان التلاميذ فهموا تلك الوصية تماماً لأن الآيتين ١٢ و ١٣ تسجل ما يلي: «فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا. وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم.»

نتكلم اليوم عن ارسالية البشارة أو أرسالية طبية وكأنهما عملان مختلفان بعض الشيء. ولكن العهد الجديد لا يضيع مثل هذا الإختلاف. يسجل مرقس البشير بان عندما ذهب الرسل بشروا، أخرجوا شياطين، دهنوا مرضى بزيت، وشفوا.

يعتبر الزيت في العالم القديم دواءا عاما لشفاء كل ما هو مؤلم للشخص. قال الدكتور اليوناني العظيم، غالن: «الزيت هو من أفضل المواد لشفاء الاجسام السقيمة.» حل جمال جديد بالدواء القديم على أيدي تلاميذ يسوع. استخدم التلاميذ ما كانت للناس من المعرفة في تلك الأيام، حتى تدهن المرضى بالزيت وبايديهم وسلوكهم، أعطوا لهذا الفعل البسيط قوة جديدة وجمال. كانوا يظهرون رحمة الله خلال الأيادي التي تعطي الشفاء والمسح بالزيت حيث كانوا يعلنون رسالة الله. لا

يوجد في هذا النص اي مفهوم ضمني بان للمسح بالزيت اي صلة بحضور الروح القدس. لم يكن الروح القدس موضع نقاش بين يسوع ورسله. الحقيقة هي انهم شاركوا في إجرآت طبية عادية، كان المسح بالزيت هو كما نتناول نحن اليوم قرص دواء حسب وصفة طبية، وشفوا الناس حينما كانوا يبشرون.

إذن، الدرس الأول الذي نعلمه من قاعدة يسوع للتعامل مع الإخفاق هو: لا تقف بسبب الاخفاق. ولا تدع الإخفاق يحبط من قدرتك للمضي قدماً.

الشيء الثاني الذي نتعلمه من استراتيجية يسوع للإخفاق هو: لا تحاول ان تلعب دور الله. نحاول نحن في كثير من الاحيان ان نسير حياتنا وحياة الآخرين أيضاً. إذا آمنا بذلك، نفسر الإخفاق كاي شيء لا يتوافق بما برمجناه ان يكون. يستمر أكثرنا في العمل مع شخص عندما نكون قد فشلنا. نؤمن باننا إن لم نقل ما يجب ان يقال، فانه لا يقال. ولكن: «انفضوا التراب من أرجلكم وواصلوا نحو فرصة تالية. اترك الماضي إليّ» هكذا يقول الرب.

وكان للتلاميذ وقت عسير لفهم ذلك الدرس، هكذا نحن أيضاً. كم مرة ظللت أطرق على الباب الذي أغلق؟ يقول الرب: «تعال إلى هنا يا يوسف، لي فرصة أخرى لك. لي صفحة جديدة مفتوحة أمامك. أريدك هنا.»

من الصعب ان لا نمثل دور الله. أليس كذلك؟ يأتي معظم إخفاقاتنا بسبب إشمئزازنا للإيمان بالله انه يستمر يعمل حيث أخفقنا. ولكن يستمر الله مسيطرا، وهو يعرف كيف يتعامل مع إخفاقاتنا.

الخلاصة

أنظر إلى قدميك! هل يوجد اي تراب عليهما؟ تراب إخفاقات سابقة؟ تراب عدم الفعالية؟ تراب الخطط الغير مكتملة؟ تراب عمل غير متقن، تعامل سيء، غير فعال؟ أنفضه! أترك الماضي لله. انه يعلم كيف يتعامل به، وسيتعامل به باقتدار.

كان بولس الرسول قد تعلم هذا الدرس. لهذا كتب إلى أهل فليبي قائلاً: «أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت. ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام» (فليبي ٣:١٣).

ليس الإخفاق قدري. لا يجب على الماضي ان يتحكم في المستقبل. مهما حدث في الماضي في حياتك أو في حياتي، فالله يعلم كيف يتعامل به. أنفض التراب. اذهب معه حيثما يريدك أن تكون الآن.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧